من طرائف العربية

بقلم رياض معلوف

من طريف لغتنا العربية انكَ كلما تعمقت فيها وسبرت غورهـا ودققت كلما اكتشفت طرائفها ولطائفهـا وثروتها اللفظية والمعنوية التي لا تقدَّر ولا تثمَّن ، ولا غرو اذا تهافت عليها المستعربون والمستشرقون من كل فج وصوب! وما غنى اللغة هذه بمفرداتها الا من طول أناة وتبحر أئمة علمائها الذين صرفوا الليالي الطوال في البحث والتنقيب والتصويب ! حتى جاءت مستكملة الفائدة جزيلة النفع والبحث فيها أخاذ وجذاب ومستطرف ! وفيما يلي قطع كالحجارة الكريمة من الفسيفساء اللغوية الباهرة الألوان والأشكال وهذه قافلة من الرواة واللغويين الذين بروا حدقات عيونهم في التدقيق والتحقيق مثل الفرّاء، والثعالبي، والأنبوني ، والخفـاجي ، وسيبويه ، ونفطويه ، والسيوطي ، والأصمعي ، والهمذاني ، وأبي حاتم الرازي ، وابن الانباري ، وابن الاعرابي ، وابن جنّيه ، وابن رستم ، وابن السِكّيت ، وابن كبشة العبثري ، وابن الكلبي ، وأبي اسحاق ، وأبي بكر ، وأبي الحسن بن كيسان ، وأبي حنيفة الدينوري ، وأبي زيد ، والسكري ، والكلابي ، وأبي العبّاس ، وأبي عبيـدة ، وأبي عمر ، والشيباني ، وأبي عمر بن العلاء ، وأبي عوانة ، والسيرافي ، وأبي مهدي الغنوي، والملكي ، والأحمر ، والأخفش ، وابن لقيط ، والأموي ، وابن عمير ، وابن دلهم ، وبندار ، والدبيري ، والتبريزي ، والتوزي ، وابن غاضرة ، والخليل ، والرياشي ، والصيدلاني ، والطوسي ، والعامرية ، وعيسى بن عمر ، والثعالبي ، والقاسم ، والكسائي ، والجرمي ، واللحياني ، والهرّاء ، والمبدي ، والنفيلي ، والنيسابوري ، والنضر بن الشميل ، والهلالي ، ويونس ، وغيرهم وذلك كما جاء في كتب اللغة وكتر الحفاظ في تهذيب الألفـاظ لأبي يعقوب بن اسحاق السِكّيت وهذّبه التبريزي والأب لويس شيخو اليسوعي .

ويقال : الخادع والخدوع — الطريق الذي يبين مرة ويختفي أخرى .

الوَعث (بفتح الواو) والوِعث (بكسر الواو) والموعث الطريق العسر . النيسم والنسيم — الطريق الدارس . الضَّحك (بفتح الضاد) والضحاك — وسط الطريق . سَنن وسُنن وسِنن وسُنَنَ (بالفتح والضم والكسر للسين) بجتهُ وجيتهُ . وتقول : الركين الجبل العالي الأركان . اليافعات الجبال الشيخ . القوعلة الجبل الصغير ، والأيهم الجبل الصعب والأعبل الجبل الأبيض والثَّنَّة الجبل الصغير والجبل المنفرد المستطيل في السماء . والضِلعَ الجبل المنفرد أو الجبل الذليل . وجبل أشمّ مُنطَّق لأن السحاب لا يبلغ رأسه . والرميم والجداد الجبال الصغار . ورجل أعلم مشقوق الشفة العليا . ورجل أفلح مشقوق الشفة السفلى وأشرم مشقوق الشفتين ، وأخرم مشقوق الأنف ، وأخرب مشقوق الأذن ، وأشتر مشقوق الجفن .

ومن طريف ما جاء في نعوت المرأة : امرأة مذكار تلد ذكوراً فقط ، مئناث تلد اناثاً فقط ، ومعقاب تلد مرة ذكراً ومرةً أنثى ، ومنجاب تلد النجباء ، ثَرور كثيرة الأولاد ، امرأة أيم لا زوج لها ونكول مات ولدها ، وقاعد مات زوجها ، وعروب محبة لزوجها ، وامرأة حصان عفيفة .

والبلبل الطائر ، والخفيف في السفر المعوان ، والبلبل سمك قدر الكف ، وقنات الكوز لصب الماء .

والجارية هي الشمس ، والنعمة الحيَّة والسفينة .

والوضح معناها : القمر ، واللبن ، والشيب ، والصبح ، والخلخال ، والفضة ، والدرهم الصحيح .

ولفظة القرن وحدها لها تسعة عشر معنى مختلف ، فهي الروق من الحيوان ، وذؤابة المرأة ، أعلى الجبل ، أول الغلاة ، ومن الشمس ناحيتها ، من القوم سيدهم ، من الكلأ خيزه ، الدفعة من المطر ، مائة سنة ، الوقت من الزمان ، غطاء الهودج ، أسفل الرمل ، الجبل الصغير ، حدّ السيف ، حدّ النصل ، أهل زمان واحد ، أمة بعد أمة ، الميل على فم البئر ، والحجر الأملس النقي .

وتقول في الرجل هكذا : رجل عُزَب لا امرأة له ، وهش بش طلق الوجه ، ورجلٌ محجور عليه أي أخذ ماله بالسؤال ، ورجل مسهوق ، أي كثير

الشراب للماء لا يروى ، ورجل مكتنح لم يزوج ، وأغر قليل الشعر ، وحيان عطشان .

والغرة لها المعاني الآتية : الغرة من الرجل وجهه ومن الاسنان بياضها ومن القوم شريفهم ، ومن الهلال طلعته ومن الشهر استهلاله .

ومن عجيب لفظة النجل انها : الولد والوالد والجمع الكثير والسير الشديد . والجنة الحديقة ذات الشجر ، وطائفة من الجن ، والملائكة .

والجنان الثوب ، والليل ، والقلب ، والروح ، ولغة الأرب ، العضد والعقل ، والدين والحاجة ، والاثم الذنب وكذلك الخمر والقمار . . .

ومن عجيب – الزور – انها تأتي بالمعاني التالية كلها : الزور العقل والباطل والكذب والشرك . والزور – مجلس الغناء . والغرام معناها : العذاب ثم الهلاك ، والشر الدائم واللوع . والريم تأتي بمعنى : الفضل ، لجبال الصغار والظبي الخالص البياض ، والباعد القبر أوسطه وآخر النهار .

ومن مستغرب عسعس قولك : عسعس الليل أقبل ، وعسعس الليل أيضاً أدبر والذئب طاف ليلاً والسحاب دنا من الأرض والأمر لبسه وعماه .

والديك يأتي بمعنى الدجاجة والديك أيضاً الربيع . ومن مستطرف كلمة – الزمهرير – انها تعني القمر علاوة عن البرودة وكلمة – الفاسق – القمر أيضاً . والوضح القمر كذلك . والعاني الدم السائل ، والعاني الأسير والعواني النساء .

ويجيء الوطواط هكذا بمعنى الضعيف الجبان ، والخفاش والعباح . والنسمة الانسان والمملوك والخلق . والعلياء هاك ما تتحمله من معان : العلياء السماء ، والعلياء المكان العالي والعلياء رأس الجبل . وكذلك الضارم الأسد والشجاع والسيف القاطع .

وتقول اكتاز الماء غرفه بالكوز وثنى الكتاب قرأه وصاحت النحلة طالت وأقهى داوم على شرب القهوة .

وتاتي قال لمعان متعددة ، قال أقبل ، وغلب ومات واستراح وقال تكلم وقال بيده على الماء صبه وبثوبه رفعه وبرأيه أشار . وشاب كذب ، بمعنى غش .

ويقال سنّ الرمح ركّب فيه سنانه ، وسنّ الأضراس سوكها والإبل ساقها سريعاً ، والأمر بيّنه ، والطين عمله فخاراً وفلاناً طعنه بالسنان ، والشيء

صوّره والمال أرسله في المرعى ، وسنّ عليه الماء صبّه .

ومن أسماء الديك الأنيس والنار الأنيسة .

وتأتي كلمة — الأسود — بثلاثة معانٍ : الحية والمال والعصفور

وضرب في الأرض سافر وضرب فيها أسرع السير وضرب الليل طال .

البرقم المدبّر الملقاط — القلم — اليراع القلم قبل برية انبوبة القلم قبل البري ، الأسل القلم والرمح . الجلف والخلف من القلم ما بين مبراه الى سنه . الزف والزف (بفتح الزاء في الأولى وكسرها في الثانية) الصحيفة البيضاء . النُّداق صحيفة الحساب .

ويقال في المشط — المَشط (بفتح الميم) والمُشط (بضم الميم) والمِشط (بكسر الميم) والمَشِط (بفتح الميم وكسر الشين) والمُشطُ (بضمها كلها) .

الخال الجبل الضخم والقائد الجبل المنبسط على الأرض .

ومن طرائف التصغير عند العرب قولهم في تصغير منطلق مطيلق ومرتزق مريزق وسفرجل سفيرج ورود رويد — وعين عُيَينة ، وأزهر زهير وفي تصغير ذا — وتا : ذيا وتيا وفي ذاك وذلك : ذياك وذيالك ، والذي والتي اللذيا واللتيا . . .

وفي الإعراب يقال لولا الإعراب لما تميّزت المعاني ولا عرف الفاعل من المفعول فتقول : « ما أحسن زيدٌ » وهو ليس معرب . أو : « ما أحسن زيدا» يعرف هكذا بالاعراب عن المعنى المقصود .

هذا بعض ما جاء في لغة الضاد من كنوز الألفاظ والمعاني التي جوّد صياغتها النحّات الماهرون حتى أتت تحفةً من التحف وكلما قلّبت صفحات هذه الكتب الغنية بالمفردات — خلتك تقلّب الحجارة الكريمة بين يديك المرتعشتين من الغبطة وحيث تلمح في كل حجر منها الصنعة والبدعة والمتعة !

زحله — لبنان